العنوان:	رؤى ابن حزم الأندلسي للحب وآثاره في طوق الحمامة في الألفة والألاف
المصدر:	مجلة العلوم الإنسانية
الناشر:	جامعة البحرين - كلية الآداب
المؤلف الرئيسي:	الزهيري، محمود حسين أحمد
المجلد/العدد:	ع29
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2017
الشهر:	صيف
الصفحات:	157 - 185
رقم MD:	946255
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد بن سعيد، ت. 456 هـ.، كتاب "طوق الحمامة"، التراث العربى، النقد التراثى، أساطير الحب
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/946255

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

الزهيري، محمود حسين أحمد. (2017). رؤى ابن حزم الأندلسي للحب وآثاره في طوق الحمامة في الألفة والألاف.مجلة العلوم الإنسانية، ع29، 157 - 185. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/946255

إسلوب MLA

الزهيري، محمود حسين أحمد. "رؤى ابن حزم الأندلسي للحب وآثاره في طوق الحمامة في الألفة والألاف."مجلة العلوم الإنسانيةع29 (2017): 157 - 185. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/946255

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

رؤى ابن حزم الأندلسي للحب وآثاره في طوق الحمامة في الألفة والألاف

د. محمود حسين الزهيري *

E.mail: alzuhayry@hotmail.com

* قسم اللغة العربية – جامعة العلوم الإسلامية العالمية – الأردن

رؤى ابن حزم الأندلسي للحب وآثاره في طوق الحمامة في الألفة والألاف

د. محمود حسين الزهيري

الملخص:

كتاب طوق الحمامة رسالة في الحب كتبها ابن حزم الأندلسي، تتجلى فيها نظرات ثاقبة للحب وصور المجتمع وشخصياته. وكان يرى بعين الناقد المتخصص في الاجتماع. تتبع البحث رؤيته للأشياء. من أقاصيص، وأخبار، وتعريف الحب في نظره، وما ركز عليه عينه من خلال تصويره للأحداث، والأخبار، ولحظ الصور الجانبية ثم رأى العاذل والسفير والواشي برؤية خاصة من خلال تجاربه. ونظر إلى المرأة العنصر الأساس في الحب والعشق. ثم نقل رؤيته إلى الحب ومتعته ولذته. وحط رحاله عند بعض الأخلاق المذمومة كالغدر والخيانة، وفي مقابلها بعض الأخلاق الممدوحة كالوفاء والصدق.

وختم رسالته بالعفة والطهر، فركز البحث على رؤيته الخاصة وسبب تسميته الرسالة وما ساقه من أخبار وأقاصيص، وما صوره في شعر من نظمه، وخرج بنتيجة أن ابن حزم كان ناقدًا اجتماعيًا وطبيبًا فاحصًا يصف الداء والدواء.

مصطلحات أساسية:. طوق الحمامة، رسالة، العنصر الأساس في الحب والعشق، الحب، الأخلاق المذمومة، أخبار وأقاصيص.

Ibn Hazm‘s Alandalusi visions For the love And Raise In his book “Tawq Alhamamh”

Dr. Mahmoud Hussein Ahmad AL-Zuheiri

Abstract:

The book “Tawq Alhamamh” by Ibn Hazm Alandalusi is a message of love reflected in his clear visions of love, society and characters, which he observed with an eye of as a specialized critic in sociology.

This research focused on Ibn Hazm’s perception of things such as: stories, news and love. He also focused on the description of events, news and events of non-core. He dealt with the figure of rat (Alwashi) and the intermediary in a different way through his experiences.

Ibn Hazm also considered “the woman” the key factor of love, then he changed his thought towards the idea of love and its enjoyment; he also talked about some bad behavior, such as treachery and treason, compared to some good behaviour such as loyalty and honesty, concluding his message with chastity and Purity. The research also focused on his own vision and the reason for the naming of the message and his carrying of news and stories and the description of his poetry.

The research concludes by describing Ibn Hazm as a social critic and an expert who identifies the problem and provides the solution.

Keywords: Tawq Alhamamh, Message, The dey factor of love - Love, Bad behavior, News and stories.

مقدمة:

هذه دراسة رؤى ابن حزم[1] للحب وآثاره في رسالته "طوق الحمامة" التي ترجمت لعدة لغات وذاع صيتها. ولاقت ذيوعًا وشهرة فاقت كثيرًا من الرسائل، لاختصاصها بالحب والعشق. ويمكن رد ذلك لعدة أسباب: أولاها: أنها كانت في عصر مبكر في التراث الإنساني عمومًا والأدب العربي خصوصًا، وثانيها: أنها صدرت عن رجل من أهل الفقه والدين، وأحد أئمة الفقه والشرع، وثالثها: أنها جاءت متخصصة في الحب والألفة في عهد لم يلتفت فيه إلى التصنيف في الحب والعشق وشؤونه، ورابعها: أنها اتسمت بالصراحة والوضوح وكثرة الشواهد والأخبار الواقعية الحية مدعومة بالأدلة الشرعية، من خلال تصاول طبقات المجتمع، وبما أثبت من تجاربه الذاتية. فموضوعها لم يسبق بالتصنيف والتأليف، إلا في قصص العشاق والحب من شعراء العربية، متناثرة في كتب الأدب والروايات[2] !

وقد صنفت كتب في الحب والعشق، قبل طوق الحمامة، كالزهرة، لابن داود،(296هـ)، والموشى، لمحمد بن إسحاق،(325هـ)، وصُنِّفت بعد طوق الحمامة كتب أخرى في الموضع نفسه، منها روضة المحبين لابن قيم الجوزية،(751هـ)، والأنطاكيّ في كتابه، تزيين الأسواق في أخبار العشاق،(1008هـ)، وكتب أخرى [3] وتميز عمل ابن حزم في طوق الحمامة بأنه تقعيد للحب ودروبه وشؤونه وآثاره، وتبويب لفصوله بما أورد من تجارب وشواهد من نتاج المجتمع واختلاف طبقاته وتركيبه!

وقد وضع هذه الرسالة – طوق الحمامة – بعد أن تغرب عن دياره وانقطع عنه خلانه وأقرانه، فكثر في رسالته الشعر والنظم وأبدع فيه، وكانت له تجليات تنم عن نفس تواقه إلى كل جميل، وروح شفافة تؤثر فيها أحداث الدهر،مرهفة الحس، تنطق الشعر بداهة دون تكلف!

وشعره يتسم بالانطباعية والبداهة، إلا فيما تكلفه من مواقف شعرية محددة، إجابة لرغبة صديق وغيره! وتكثر في شعره المؤثرات الثقافية والإشارات إلى العلوم والعقائد والتعليلات[4].

وقد ذكر التلمساني من شعره الذي سطره في رسالته طوق الحمامة، أنه أتى بخمسة تشبيهات عطفها على بعضها، وقل من يفعل ذلك، فعند بعض الشعراء خمسة تشبيهات لكنه لم يعطفها على بعضها، ولم يصل لدرجة ابن حزم، وهو بيت الشعر، القائل:

فأمطرت لؤلؤًا من نرجس فسقت
وردًا وعضت على العناب بالبرد

وكان صدرها بأبيات ابن حزم، وهي قوله: [5]

خلوت بها والراح ثالثة لنا
وجنح ظلام الليل قد مد واعتلج
فتاة عدمت العيش إلا بقربها
كأني بها والكأس والخمر والدجى
فهل في ابتغاء العيش ويحك من حرج
حبًا وثرى والدر والبشر والسبج

ثم قال: (إلا إنه لم يعطف خمسة على خمسة كما صنع ابن حزم بل اكتفى بالعلم في التشبيهات). [6] فشاعريته بادية، ونثره واضح كما في طوق الحمامة، فإن له فيها تجليات تنم عن نفس تواقة لكل جميل ومطبوع من خلال النظرة الإنسانية الثاقبة

في كثير من الأمـور، وقد ملئت رسالته شعرًا من نظمـه، تعكس نفسًا جربت وذاقـت، وتـألمت لما يعانيه المحب، وما يصطلي بناره المحبون من تجارب واقعية، وليست ضربًا من الخيال، أو الأحلام.

وركز البحث دراسته حول قضايا تعكس تجاربه الذاتية ورؤيته للحب وآثاره من خلال ما كتب وصور، وما لمس لديه من سياق الأخبار والأقاصيص، من تعريف الحب والعشق، والتفريق بينهما. ثم صورة العاذل، والسفير، والواشي، ثم رؤيته للمرأة، ثم نظرته لمتعة الحب ولذته، ثم نظرته لخلقي الوفاء والغدر.

ويلحظ من خلال تقديم الرسالة أن ابن حزم كان صاحب عقل منظم وفكر مرتب، وظهر ذلك من ترتيب أبوابها[7] ترتيبًا ينم عن هدف يريد أن يصل إليه، وهي السلو وتسلية الصديق.على أن الأمر صادف هوى في نفسه ورؤية مستقبلية لما يود أن يكون.

فلُحظ من خلال اغتباطه بالرسالة ارتياح نفسي لديه، ولعل إجابته له كانت ثمرة من ثمرات هذا الاغتباط، فأشار أنه لولا استجابته لما في نفس صديقه لما أقدم على هذا الطلب بهذه السرعة وما تكلفه.[8] هذا الدافع المعلن الظاهر، وهو ضرب من اللغو حين يكتب مؤلف عن حياته العاطفية، وهو الدافع نفسه لدى سابقه ابن داود ولاحقه ابن الجوزية[9]، فلا يتصور أن لكل واحد من هؤلاء صديقًا يتكلف الكتابة من أجله ويتجشم عناء التصنيف في الحب والعشق ولكنها حالة من الحرج يلجأ المؤلف إليها خاصة إذا كانت في الحب والعشق.

ويظهر أن ذلك كان نتيجة لما يعانيه ابن حزم من غربة الدار، وبعد الأهل، وتحول المعاش، وابتعاد المحبين، وخلو المكان من صديق يحادثه ويبثه همومه، ولم تكن نتيجة عشق، أو ميل، فإنه كان في مرحلة من العمر لا يليق ذلك به، لكنه كان في حنين لما مضى من العمر والعز والجاه والرفاه.[10]

ويبدو أن أولى تلك الرؤى النفسية عكسها من خلال المقدمة التي صدرها رسالته، استمدها من تجاربه الخاصة، وتجارب من عاصره، ودعمها بشواهد شعرية[11] من نظمه وشعوره الذي أحس به.

عنوان الرسالة:

تجلت رؤاه النفسية من خلال اختياره عنوان الرسالة – طوق الحمامة – وقد ذكر إحسان عباس تعليلات الاختيار، وبعض الدلالات التي تنم عن نفسية ابن حزم في هذه التسمية والاختيار[12]. فالطوق والحمامة لهما ارتباط بالحب والعشق. لكنها تسمية نادرة عجيبة، فهل نظر إلى الحمامة على أنها مما يشكى إليه الهموم؟ كما ذكر أبو فراس الحمداني، بقوله: [13]

أقول وقد ناحت بقربي حمامةٌ

أيا جارتا هل تشعرين بحالي

معاذ الهوى ما ذقت طارقة النوى

ولا خطرت منك الهموم ببالي

أيا جارتي ما أنصف الدهر بيننا

تعالي أقاسمك الهموم تعالي

أم نظر إلى الحمامة على أنها وسيلة لإيصال الرسائل[14]؟ أم أن الحب يبقى أثره وانطباعه في القلب ملازمًا كملازمة الطوق للحمامة؟ خاصة أنه

ركز كثيرًا على تطاول الحب وطول مكثه إذا كان حبًا صادقًا سالمًا من الآفات، كما في حديثه عن نعم جاريته وحبه الأول!

فالطوق ملازم لعنق الحمامة لا يزول، وكذلك الحب ملازم للقلب لا يكاد الإنسان ينفلت منه، ليس في مستوى النساء فحسب بل طبع القلب محبة ما يلائمه من الأشياء .

أم أنه وجد في الحمامة مشابهة وتوافقًا لحاله في الحنين إلى ما مضى؟ فتذكر الأساطير أن صوت هديل الحمام: هو نَوْحٌ على ولد الحمامة الذي فقد في عهد نوح عليه السلام، فما من حمامة إلا وتبكي ذلك الطائر الصغير الضائع! فتوافق معها في بكائه على ما مضى من العمر، وقد ذكر أنه يحن إلى ما مضى كثيرًا [15]، والعنونة تتنزل في سياقاتها التاريخية والسياسية الاجتماعية، وتعكس في واقعها وعيًا تحيل إليه كواقع معين محسوس[16] بما تحمل من دلالات ورموز فنية موحية .وربما يكون أقربها إلى تعليل اختيار اسم الرسالة!

تعريف الحب:

ركز الذين عرَّفوا الحب على أنه نابع من داخل الشخص لا يملك دفعه، وكأنه يقذف في القلب من غير استئذان، فمن تقادح جواهر النفوس المتقاطعة بوصل المشاكلة، إلى شجرة أصلها الفكر وعروقها الذكر، إلى أنه أصعب ما رُكِب، وأسكر ما شُرِب، إلى أنه سقم وبلوى،كله أنين وسهر وفكر وغير ذلك.[17] إلا أن ابن حزم يفارق تلك التعاريف فيدمج البعد الإنساني مع البعد الديني.

فيقول[18] «الحب – أعزك الله – أوله هزل وآخره جد، دقت معانيه لجلالتها عن أن توصف، فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة، وليس بمنكر في الديانة ولا بمحظور في الشريعة، إذ القلوب بيد الله عز وجل». وبعد أن عرج على شواهد وأخبار من أحب من الخلفاء والأمراء والفقهاء والمشهورين من الناس، قال: «والذي أذهب إليه أنه اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة في هذه الخليقة في أصل عنصرها الرفيع».[19]

وإذا نظر إلى تعريف ابن حزم، وتعريف الآخرين تبين أنهم يتفقون على أنه أمر خارج عن الإرادة، وأنه صعب المركب، وداء يصاب به المرء. ويتميز تعريف ابن حزم أن معانيه دقيقة وأنها لا تدرك إلا بالمعاناة، أي بالمعاينة والتجربة، وتوحي هذه اللفتة إلى أنه أدخل عنصر التجربة والواقعية، بما تجلى لديه من أبعاد اجتماعية ومرارة التجربة فولج إلى البعد الإنساني التراكمي. ثم إنه نظر أبعد من ذلك بأن نفى بأن يكون منكرًا أو محظورًا في الديانة والشريعة، وهو فقيه من أئمة الشرع ! بما أفاده من اطلاع على العلوم الشرعية، واستنباط للأحكام! فكان أول من أثار المسألة بوضوح ودقة تامتين كاملتين،[20] ويعد من أسبق من التفت إلى المشاكلة في الحب وموافقة الطباع، بل عدها من دواعي الحب[21]، وكان تعريفه للحب ودواعيه أبرز التعريفات عند العرب.[22]

الأقاصيص والأخبار والشعر:

تعكس أقاصيص وأخبار الحب في طوق الحمامة، رؤية نفسية لابن حزم، فإنه أوردها مورد الملتاع لما يرى ويحدث، أو مورد المستشهد بها، لما كان عليه

حال الناس من خلال عرضه لها، فأثبت ذلك في المقدمة موضحًا وشارحًا.

واكتفى بالإشارة والكناية عن الأشخاص، خوفًا من اللوم أو التهمة، أو الضرر، فيقول مخاطبًا صاحبه: (فاغتفر لي الكناية عن الأسماء، فهي إما عورة لا نستجيز كشفها، وإما نحافظ في ذلك صديقًا ودودًا ورجلًا جليلًا، وبحسبي أن أسمي من لا ضرر في تسميته، ولا يلحقنا والمسمى عيب في ذكره) [23]. ولما أضرب عن التصريح بالاسم والكنية، فإنه يعكس نفسية تحفظ الود، وتخشى زوال الصداقة، لما طبع عليه من الوفاء وحفظ العهد.

كما تشف هذه النظرة عن مسؤولية كبيرة انتهجها لنفسه، خاصة في بيئة كانت مضطربة الأحداث في زمنه وحياته، بعد تشتت الشمل والنزوح عن الديار، فاختلال طبقات المجتمع يفرض أمورًا اجتماعية غير عادية!

ويلحظ أنه لم يكن مقلدًا ولا تابعًا بل مبتكرًا، متشوقًا أن يكون بحثه طريفًا ليس مسبوقًا، فيقول: (وما مذهبي أن أنضي مطية سواي، ولا أتحلى بحلى مستعار، والله المستغفر والمستعان لا رب غيره) [24]. وهذا منهج انتهجه في حياته الاجتماعية، ودراسته العلمية، فاستنبط منهجًا جديدًا ومذهبًا في الأحكام الشرعية والفقه!

ولعله أراد من وراء ذلك أن يضع مصنفًا لم يسبق إليه، وهذا سر تفوقه في رسالته، وذيوع صيتها، فالابتكار منهج ورؤية نافذة لما بعدها عنده! تصويرًا لحال المجتمع[25]، لا يقدر عليه إلا من وهب شخصية جريئة، وبصرًا نافذًا في الوصول إلى خبايا المجتمع في ذلك العصر، فرؤيته تمثل رؤية ناقد.

ثم ذكر أشعارًا في ثنايا الرسالة من نظمه - وبما أن الشِّعْر شعور وإحساس بما لم يشعر به غيره- [26] لرهافة حس تتجلى عند المرء، أو تسيطر على نفسه، فأشعاره رؤية نفسية مصاحبة لما يصف من حالة القلق التي تعتري المحب عندما يعده المحبوب بزيارة، في حالة من المجيء، والذهاب، واضطراب الحركة. بل هي رؤية تدل على احتراق جوى قلب المحب، محرك الأعضاء والجسد، لانشغال الذهن والفكر بالمحبوب، فيقول[27]:

أقمت إلى أن جاءني الليل راجيًا
لقاءك يا سؤلي ويا غاية الأمل
فأيأسني الإظلام عنك ولم أكن
لأيأس يومًا إن بدا الليل يتصل
وعندي دليل ليس يكذب خُبْره
بأمثاله في مشكل الأمر يُستدل
لأنك لو رمت الزيارة لم يكن
ظلام ودام النور فينا ولم يزل

فلولا احتلال هذا الأمر من قلبه مكانًا خاصًا لما علل القلق عند المحب بأمرين يحدثان عند الوعد بالزيارة رجاء لقائه، وعند حادث يحدث بينهما من عتاب. [28] ويذكر خبرًا يردفه مستشهدًا به.

ويلجأ إلى الشعر كثيرًا في رسالته حينما يحس أنه لم يستطع الوصول إلى تصوير الأمر برؤية واضحة، فيسطر شعرًا من نظمه ليبين حالة الشعور التي تسيطر على نفسه، وكأنه يود أن يكسب الكلمة الشعرية لحنًا وإمتاعًا، فالخطاب الغزلي اقترن بالغناء لدى العرب واتحد باللحن[29]، وهي من

تجليات ابن حزم النفسية، فيقول مصورًا عظم صورة المحبوب لديه[30]:

أمن عالم الأملاك أنت أم الإنس
أَبِنْ لي فقد أزرى بتمييزي العي
أرى هيئة إنسية غير أنه
إذا أعمل التفكير فالجرم علوي

ويورد كذلك بعض الأخبار التي تؤكد أن الحب داء يصعب معه الشفاء، خاصة إذا استجاد المحب طعم الحب ولذته ومتعته. ويتوافق مع الجاحظ أنه داء يصعب معه الشفاء والدواء (وداء العشق وعمومه في جميع البدن بحسب منزلة القلب من أعضاء الجسم، وصعوبة دوائه تأتي من قبل اختلاف علله)[31]. غير أن الجاحظ ذكر صعوبة الداء ولم يعرج على استجادة طعم الحب والعشق. أما الأنطاكيّ، فإنه يذكر أن الحب مرض من خلال استحسان الصورة والشمائل ولا يشترط أن يكون مقترنًا بلذة وشهوة [32]، ويؤكد ابن الجوزية أن شفاء الحب يكون في التقاء الروحين والتصاق البدنين[33]. ويرى ذلك عند شعراء الغزل والحب كقيس بن ذريح في قوله[34]:

عِيدَ قيسٌ من حُبِّ لبنى ولبنى
داءُ قيسٍ والحب داءٌ شديدُ

ويورد خبر الذي دعى له بالشفاء فرأى الكراهة في وجهه[35]، لما يجد المحب من متعة ولذة في حال حبه. فهي رؤية ثاقبة وملاحظة دقيقة تجلت في نفسية ابن حزم لما يشاهده.

ومن شدة ملاحظة ابن حزم النفسية رؤيته ذلك التأثر ممزوجًا بالقلب والنفس معًا، من انطباع صورة المحبوب في القلب، ولعله وصل إليها من خلال التجارب، أو ما نقل إليه من أخبار المحبين، أو ربما عاشها ولمسها. كما ذكر ذلك في المقدمة، أو بالإخبار عن بعض الثقات، أو مما عاينه من تجارب، كما أورد خبر من أحب من نظرة واحدة! فذكر قصته، ثم قال: [36]

عيني جنت في فؤادي لوعة الفكر
فأرسل الدمع مقتصًا من البصر
فكيف تبصر فعل الدمع منتصفًا
منها بإغراقها في دمعها الدرر
لم ألقها قبل إبصاري فأعرفها
وآخر العهد منها ساعة النظر

فأورد هذا الخبر، ثم ذكر شعرًا يصف ما حل بصاحبه، وما الذي حدث له، وتلك رؤية رآها فأثرت في قلبه وعقله.لكنه ينفذ من خلال حديثه عمن أحب من نظرة واحدة إلى طباع الناس وسرعة تحولهم وتغيرهم، ويرى أن سرعة الحب هي سرعة إلى نهايته وخمود ناره، فسرعة الحب يقابلها سرعة السلوان والنسيان، فأسرعها نموًا أسرعها فناءً، وأبطؤها حدوثًا أبطؤها نفادًا[37].

وينتقل فورًا إلى الحديث أن سرعة الحب إنما هو نوع من الشهوانية، عشقي يلتمس اللذة والمتعة، وينظر إلى سرعة زواله مع انقضاء الشهوة، حتى إنه ليطيل العجب من هؤلاء الذين يدعون مثل هذا الحب السريع الفوري، الذي يكون من نظرة واحدة، ويتهمه بالكذب ولا يكاد يصدقه[38]. لأنه ضرب من الشهوانية والمتعة، لا حب الروح للروح. التي يراها أبلغ! وما ذلك إلا لطول المكث والبطيء في الحب.

ويقترب بتلك النظرة من الجاحظ ويبتعد في

الوقت نفسه، فالجاحظ يرى أن الحب والهوى لا يسمى عشقًا، فيقترب من ابن حزم، فإذا أضيفت إليه المشاكلة، وهي الشهوة، والحب بين الجنسين، أصبح عشقًا لعنصر الشهوة فحسب، فابتعد بذلك عن ابن حزم بهذه النظرة، لأنه يرى الحب والهوى مضافًا إليها الشهوة عشقٌ، فيقول: «وإلا لم يسم عشقًا إذا فارقت الشهوة» [39] فالاثنان توافقا على أن الحب والهوى مع الشهوة عشقًا، لكن ابن حزم يرى المطاولة في الزمن، والجاحظ يرى سرعة الصبوة والانجذاب الجنسي ! والسرعة عنده ترجع إلى طبائع النفوس في الرقة والقسوة والإلف وقلة الشهوة[40]. ويوافق الأنطاكيّ ابن حزم أن الشهوة إنما هي عشق ينتهي بانتهاء أسبابه من شهوة ولذة.[41]

بل إنه عقد بابًا لطول الحب وحدوثه وبطئه، ثم يتحول بالحديث عن نفسه، أنه ما أحب صفة ثم تحول عنها قط، وليس هذا في النساء فحسب بل في الأشياء كذلك. [42]

وتعد هذه رؤية خاصة به، تنم عن نفس تواقة إلى الثبوت وعدم التنقل، وفي الوقت نفسه تدل على طول تأمل وفلسفة للأمور يجيل التفكير فيها.

وذلك لارتباطه بحياته التى ما عرفت الاستقرار، فكأنه عندما فقد الاستقرار أحس بقيمته نفسيًا عند فقده، فأضحى يحب طول المداومة، والمكث في كل شيء من مركوب وملبوس، وفي الحب والأنس. وإذا كان هذا تصوره للمطاولة والمكث والإلف والعادة، فإنه ينسحب كذلك على حب الوزارة والجاه المفقود!

ويعكس من خلال تعريفه للحب نفسًا جربت الحب وذاقته ألوانًا، وأجرت فيه أحداثًا وفصولًا، ويبدو أنها كانت حاجة كامنة في نفس صاحبنا ابن حزم، ليس لمجرد حب النساء فحسب، بل في الأشياء والأصحاب والأوطان. ولولا تجرعه لمرارة آفات الحب لما استطاع تعريفه والوقوف عليه وعلى ماهيته. [43] ولَمَا أضرب صفحًا عن ذكر بعض الخلفاء والأمراء والوزراء ورجال الدولة تحاشيًا لتبعات ذلك !

ويصف الحب وألوانه، ويذكر جميع صنوفه، حتى إنه ليرى أن كل شيء إلى نقصان، إلا الحب فإنه زائد لا ينقص ولا يعتريه النقص، إذا كان عشقًا صحيحًا سليمًا ليس شهوانيا، فيقول: (فكل هذه الأجناس منقضية مع انقضاء عللها وزائدة بزيادتها وناقصة بنقصانها.....حاشى محبة العشق الصحيح المتمكن من النفس فهي التي لا فناء لها إلا بالموت.....). [44] فنفسيته تواقة إلى المزيد من الحب وتطاول أيامه وأوقاته، بل راغبة في تذكر ما مضى، لأنها تعود بالشخص إلى عهد الشباب والصبوة، فهل انقلب ذلك عنده رمزًا كشعراء الغزل والحب عند العرب، فأصبح متابعةً لقضية إنسانية وصورة للمرأة مثالية ؟![45] ربما لمس ذلك! على الرغم من الشواهد والأخبار الناطقة الحية التي تمثّل بها، لكنه في الوقت نفسه كان بعيدًا عن رمزية المرأة المثالية النمطية في التراث الأدبي العربي.

ومن خلال ذكره توافق المحبين في الصفات والأهواء، وتوافق روحيهما وطبعيهما واشتراكهما في أمر بعينه، عكست رؤية نفسية لابن حزم في توافق الطبع، وبابًا من أبواب استمرار الحب وطول بقائه. فركز الصورة على التوافق الروحي لما له من أثر نفسي لدى المحبين وانسجام في حياتهما[46].

ويعكس أثرًا نفسيًا من خلال حكايات بعض المجربين تلمسًا لما يجده في نفسه من خلال خبرته بأحوال الناس في تصرفاتهم، وتغير طباعهم، وتأثره نفسيًا بأحداثهم وشأنهم. [47] ففي كل خبر ينقله تتجلى لديه رؤية نقدية ثاقبة تلحظ كل شيء بدقة واضحة،بل مغرمة.ومما يعكس رؤيته النفسية شغفه بنقل أخبار العشاق والمحبين ممن عاصروه[48]، إلى أن وصل الأمر إلى متعة نفسية روحية، وكأنها تعزز ما يجده في نفسه.

وما تصنيفه لعلامات الحب وظواهره، إلا إحساس داخلي مجرب، ولعله كان مصيبًا إلى أبعد حد فيما يصف، من إمعان النظر، والإقبال بالحديث عليه، والإسراع بالسير نحوه، وبهت يقع عند رؤيته فجأة، واضطراب يحصل عند رؤيته وشبهها. [49]

ويبدو أن تصنيفه لهذه العلامات نفذت من خلال رغبة نفسية في مراقبة أحوال الناس عمومًا، والمحبين خصوصًا بما يشبه عدسة مصور! فإنه يعطي انطباعًا عامًا لما يرغب فيه المحبون من خلوة وهيام، وما يجدون فيها من تأمل عميق وتخيل في الحب، لما في الوحدة من أنس وطيف في نفس المحب، مع سكون الليل والتأمل في النجوم، فيقول[50]:

فليس إلى النهار لنا سبيل
وسهد زائد في كل حين
كأن نجومه والغيم يخفى
سناها عن ملاحظة العيون
ضميري في ودادك يا منايا
فليس يبين إلا بالظنون

ومن أغرب ما نقل من صور، حديثه عمن أحب بالنوم شيئًا لم يره حقيقة قط، وهذا يكون ممن شغله الحب حتى في النوم، وهي حالة لا تتهيأ إلا لصاحب همة عالية، ونفس شفافة، وقدرة على التمثيل والتخيل، ولا سيما عند ابن حزم، صاحب العقل المتوقد والنظرة الثاقبة، ويذكر خبرًا حدّث به عن أحد من الناس فأوردها نثرًا، ثم قال[51]:

يا ليت شعري من كانت وكيف سرت
أطلعة الشمس كانت أم هي القمر
أظنه العقل أبداه تدبُّره
أو صورة الروح أبدتها لي الفكر
أو صورة مثلت في النفس من أملي
فقد تخيل في إدراكها البصر
أو لم يكن كل هذا فهي حادثة
أتى بها سببًا في حتفي القدر

لكنه في نهاية الأمر يراه ضربًا من الهذيان، وضربًا من المنى المستحيلة التي لا تتحقق، ولا وجود لها إلا في نفس من جربها لانشغال فكره بها. فالحب في نظره لا يكون إلا مع الواقع المحسوس، وليس في الخيال والحلم، أو التمني المفقود .

ويكون بذلك نفى الخيال والطيف، وأغرق في المحسوس والملموس من الحب والعشق، غير أن خيال الحب ربما يأتي في النوم أو السماع أو الكلام أو الوصف وغيره، لأنها ترجع في مجملها إلى الأمزجة والطباع[52]. وربما تتوافق مع التحليل النفسي عند فرويد في جدلية الكبت وغيره، ويكون أكثر التصاقًا بالطبيعة الإنسانية[53] .

فهو لا يرى الحب إلا مع المطاولة والمكث، ولم يقصر ذلك على محبة النساء، بل يراه كذلك في الأصحاب والإخوان، فيقول[54]: (وكذلك أنا في السلو

والتوقي، فما نسيت ودًا لي قط، وإن حنيني إلى كل عهد تقدم لي ليغصني بالطعام، ويشرقني بالماء .....وما مللت شيئًا قط بعد معرفتي به، ولا أسرعت إلى الأنس بشيء قط أول لقائي له ....لا أقول في الأُلاّف والإخوان وحدهم، لكن في كل ما يستعمل الإنسان من ملبوس ومركوب ومطعوم وغير ذلك.) فتلك نظرة عميقة نابعة من رؤية متأمل في الحياة جرب الأمور بنفسه.

وربما يكون ذلك عائدًا إلى طبيعة ابن حزم الفلسفية والمنطقية في الحب والأشياء، لذلك لحظ الفلسفة في صراع الشهوات أو الإقلاع عنها، وبين ما يحكمه العقل وما تحكمه الشهوانية، ويلمح ذلك في طبيعة الأشياء والدوام عليها، أو الإقلاع عنها[55]. يلمس من تصريحه بمحبة الأشياء وكل ما يستعمل الإنسان رمزية اجتماعية حين فقد الوزارة والرياسة، فكونه لا يأنس بشيء أول لقائه به، وفي الوقت نفسه تحمّله نفسه الحنين إلى ما مضى، فإن ذلك مؤشر على الاختلال الذي طرأ على حياته.

ويظهر أنه من خلال ذلك نفذ إلى التفريق بين الحب والعشق، بناءً على تأمل فلسفي، ونظرة فاحصة، فتكون الألفة مع المطاولة حبًا، والعشق من سرعته يلحظ أنه شهواني، ونزوة من النزوات النفسية والجسدية. [56] وهذه رؤية لا ينفذ إليها إلا من تعمق في النظرة إلى الأشياء، وأطال التفكير بها، وما نظرته إلى ازدياد الحب مع ملامسة الأعضاء وتماسها إلا نظرة نافذة إلى صميم النفس، وبعد روحي رآه طريقًا ومسلكًا من مسالك الحب والعشق[57]. ثم عطف عليها رؤية ثاقبة إلى من أحب صفة لم يستحن بعدها غيرها[58]، فإنه بذلك يؤكد الظمأ النفسي عند الشخص، كالذي يرتوي أو يأكل ابتداءً، فيراه كمن يأكل طعامًا معينًا، أو يشرب شربة خاصة على جوع شديد أو ظمأ محترق، فتبقى تلك اللذة تراوده حينًا لا يكاد نسيان طعمها ولذتها! وتجلت لديه جرأة حين حدث عن نفسه وما أحب من صفات، فأحب من النساء في مقتبل شبابه جارية شقراء كانت أول حبه فما أحب بعدها إلا شقراوات[59]. فلحظ(الأنا) ثم عمم ذلك إلى غيره، فالتجربة ذاتية نفذ منها إلى غيره بأدلة وشواهد من خلال الشخصيات التي اختارها ووظفها، واختلاف مواقعها الاجتماعية والطبقية[60].

وحين تحدث عن إشارات العين وأهميتها ووظيفتها[61]، فإنه تحدث من خلال رؤية مجرب فاحص، فانطبعت في نفسه تلك الإشارات. فوصف حركات العين بمؤخرتها وذبولها وإغماضها وقلب الحدقة إلى جهة ما ثم صرفها بسرعة وغير ذلك، ثم وضح معانيها[62]، إشارة إلى قدرة العين على التصوير والتمثيل، وما للنفس الإنسانية من قدرة على التخيل فيما ترى، ولا تكاد تجد عينًا كذلك إلا عند مرهف الحس، أومستشرف الأحداث، فكأنه ينظر إلى الأحداث بمنظار خاص، ورؤية انفرادية، ثم يعممها على الناس، فيرى العين تنوب عن كثير من المراسلات والرسل والرسائل. فكانت عنده قدرة على التخيل وتحليل الإشارات وفهم مدلول الحركات.

ويتضح من إشارات العين بعد آخر، يريد من ورائه أن يثبت أن العين هي آلة الاعجاب وداعية الحب والعشق، كما أشار الجاحظ إلى قدرة القيان على التلاعب في حركة العيون فقال: «ويتغايرون عند الالتقاء، فتبكي لواحد بعين، وتضحك للآخر بأخرى،

وتغمز هذا بذاك»[63]، وهو ما عرف بالعصر الحديث بعلم العلامات، أو الإشارات الرمزية[64]، فحركات العين والحواجب وبعض حركات الجسد إشارات مفهومة بين الناس عمومًا لاسيما العشاق والمحبين!

ويركز الصورة في أحداث جانبية، تنم عن عمق فلسفي عظيم الأثر، وإن كانت يسيرة إلا أنك تراها رؤية خاصة به، ففيها نوع من التأثر والتأثير النفسي، والرؤية القلبية التي تتمازج مع القلب في تحسين صورة الأشياء .ففي حديثه عن الرسائل ما بين المحبين يهتم ببعض جوانب الصورة التي تشي عن غرق في أثر المحبوب، وينقل بعض مشاهداته في ذلك، ويركز الصورة على ما يتبعها من اغتباط، وسرور عند المحب حين وصول الرسالة، ثم ينظم شعرًا ممزوجًا بالتجربة، فيقول[65]:

جواب أتاني عن كتاب بعثته
فسكن مهتاجًا وهيج ساكنا
سقيت بدمع العين لما كتبته
فعال محب ليس في الود خائنا
فما زال ماء العين يمحو سطوره
فيا ماء عيني قد محوت المحاسنا
غدا بدموعي أول الحظ بيننا
وأضحى بدمعي آخر الحظ بائنا

ومن شغفه بأخبار المحبين ونوادرهم، وشدة ملاحظته، فإنه ذكر خبرًا أنه رأى كتابًا، كتب بدم المحب، وهو يسيل منه، وذلك يؤكد أنه كان يرى رؤية خاصة به، يجد لها أثرًا في نفسه وعقله[66]. والرسائل بين المحبين والعاشقين أمر ظاهر معروف، يحمل إشارات ومعاني لطيفة، تفهم فيما بينهم.[67]

لأن الرسالة تقوم مقام المرسل، لذلك حرص على وصف زينتها وجمالها.([68]) لما شغف به أهل الأندلس من التأنق في طريقة معاشهم وحياتهم!

على أنه يرى أن الرسالة والكتاب تنوب عن صاحبها، فلشكلها وجمال مظهرها أثر في نفس المحب، لأنها تقوم مقام الرؤية والمشاهدة.وجانب وجداني فلسفي عميق في النفوس، ولعله كان أسبق من الغرب في هذه الوجدانية[69].

رؤيته لصورة العاذل والسفير والواشي

يلْحَظُ ابن حزم أن لكل واحد من هؤلاء وظيفة مهمة في الحب، وفي العلاقة ما بين المحب والمحبوب، فوظيفة العاذل، اللوم للمحب، والعتب إشفاقًا عليه، ويكون السفير الواسطة والرسول فيما بينهما، بينما الواشي وظيفته هي تعكير صفو العلاقة وتأجيج نار الغضب والنفور.ولعلها رؤية نفسية من مجرب فلا يصف هذا الوصف إلا من عاين الأمر ودقق النظر.

فيرى أن السفير بين المحبين مرحلة متقدمة، وبعد توطد العلاقة، يأمن كل منهما جانب صاحبه، ويطمئن إلى الألفة، فيقول[70]: (ويقع في الحب بعد هذا، بعد حلول الثقة وتمام الاستئناس إدخال السفير) .

ويصبغ عليه صفات مهمة يجب أن تتوافر فيه، فإذا انعدمت فقد يسيء أكثر مما يحسن، ويفسد أكثر مما يصلح، وأهمها لديه العقل والفطنة، هذا في شخصيته، أما في هيئته، فيجب أن يكون خامل الذكر لا يؤبه له بين الناس، لتمام الكتمان والتحفظ، لصباه أو هيئته، أو أن يكون جليلًا لا تلحق به الظنة لنسك يظهر، أو لسن عالية متقدمة من النساء، وخاصة

ذوات العكاكيز، أو من ذوات الصناعة كالطبيبة، والحجامة، والسراقة، والماشطة، والنائحة، أو ذات قرابة[71].

والقصد من وراء ذلك كله التعمية والسرية والكتمان، فأيًا توافر فيه ذلك صلح لأن يكون رسولًا وسفيرًا، زيادة في التعمية والحفاظ على السر والخفاء. وكأنه يري متعة الحب ولذته في السرية. وتصدر مثل هذه الأحكام عن شخص خاض غمار الحياة، وعرف بواطن الأمور وأسرار المكتوم. وترتبط بالبعد الاجتماعي لديه، فعلى الرغم من محاولة الكتمان إلا أن الحب إذا تمكن في النفس ظهر ولُحظ، لكن بعض الناس يحاولون التعمية والإنكار خوفًا من سمة الناس للمحب أنها من صفات أهل الباطل! وتبدو جرأته وصراحته حين يعقب أن ذلك وجه غير صحيح فالقلوب بيد الله، والاستحسان طبع في النفوس، مجبولة عليه[72]، ولفتته هذه وجرأته وما شابهها، جرَّت عليه الخصوم والمناوئين، حتى في مجتمع عرف بالانفتاح ! ويلمح من ذلك أخلاق أرقى طبقة في مجتمعه –العلماء والمفكرين- التي تمثل خلق الحسد والكيد أكثر منه تدينًا وورعًا، ويمثل صراع الطبقات في مجتمعه.فالأمن، وتوطد العلاقة والكتمان وحفظ العهد مرتبط بالفترة الزمنية التي عاصرها وما وشى به هؤلاء لدى الأمراء والخلفاء فاستخلص من تجاربه في حياته السياسية والاجتماعية أبعادًا وظفها في الحب وقصصه.

أما العاذل فإنه يراه من آفات الحب، ويقسمها أقسامًا، فإما أن يكون صديقًا مخلصًا يخفف عن المحب ما يجد، ويلوم بطريقة مهذبة لطيفة خوفًا عليه وإشفاقًا على روحه، فيذكره الشاعر أحيانًا بصفة الصاحب، يقول عروة بن حزام: [73]

يقول ليَ الأَصْحابُ إذ يعْذِلونني
أشوقٌ عراقيٌّ وأنت يمانِ

وإما أن يكون من الزاجرين الذين لا يرعوون عن اللوم والزجر، بل هذا ديدنه وطريقه، لذلك يرى فيه ثقل ظل على نفس المحب[74]. ومثل بنفسه وما حصل معه، وهي التجربة الاجتماعية نفسها التي أكدها فيما سبق عن حفظ العهد وكتمان السر، إلا أنه في الوقت نفسه يرى أن العاذل مما يستجاد لشئ واحد فحسب، أنه كلما أكثر من اللوم أكثر من ذكر اسم المحبوب، وهذه بحد ذاتها متعة لدى المحب، يجد لها مذاقًا خاصًا مع تكرار اسم المحبوب، ويتلذذ بسماع اسمه، فضلًا عن لقائه والخلوة به، ثم يصف المحب العاصي للعاذل برؤية خاصة بصورة الملك المنتصر الهازم لعدوه، والمجادل الماهر الذي يغلب خصمه، ويقول[75]:

أحبُّ شئ إليَّ اللوم والعذل
كي أسمع اسم الذي ذكراه لي أمل
كأنني شارب بالعذل صافية
وباسم مولاي بعدى الشرب أنتقل

وكأنه يراه شُربًا صافيًا نقيًا، لعظم لذته ونشوة متعته، ويرى أعظم من ذلك أنه عبد لمولاه، يلذ بذكر اسمه وترداده، لما لشرب ماء العذالة واللوم من مذاق يجد طعمها في نفسه ونشوة روحه. على الرغم من أن العاذل تعرض لذم شديد من الشعراء، ونالوا منه ومن أسلوبه وطريقته لأنه أدخل نفسه فيما لا يعنيه[76] لفضوله وثقل ظله وإفساده علاقة المحبين.

ولعل رؤيته تتجلى حين يردف هذا الباب بباب

مساعدة الإخوان، وكأنه يرى العذل بابًا من أبواب المساعدة، ويذكر أخبارًا في مساعدتهم وتوسطهم للقاء المحبين فيما بينهم[77]. ويلحظ أنها رؤية كشف بها عن أبواب يراها في التواصل والتوصل للقاء المحبوب، وتقريب عرى المودة بينهما، ليكونا قريبين كل القرب. فالحب تعمق في قلبه حتى رأى فيه ما أجاد الوصف وأتقن الصنعة!

أما شخصية الواشي، فهي من أقبح الصور في نظره، فإنه يذكرها كمنغص من منغصات الحب وآفاته الداهية، ويظن أنه ركز على قبح صورته بما أورد من أحاديث، ثم خرج به الكلام عن مراده وقصده إلى الحديث عن بغض الكذب والافتراء،فأشار بقوله: (ولابد أن أورد ما يشبه ما نحن فيه وإن كان خارجًا عنه وهو شيء في بيان التنقيل والنمائم)[78] ويتضح من حديثه أنه يريد حالة المجتمع رمزية إلى ما لاقاه من الوشاية به عند الخلفاء والأمراء، فنفذ من الحب وأبعاده إلى ضرر الوشاة في المجتمع فمثل بتجربة المحبين وما يلاقونه من الواشي طريقًا للوصول لغايته التي ينشدها في نقد طبقات المجتمع وتصوير أحوال الناس وأخلاقهم.

وكذلك الرقيب فإنه لون من الواشي وسبيل من سبله، وقد استثقله شعراء الحب ومقتوا فعله، كما عند عروة بن حزام:[79]

إذا ما جلسنا مجلسًا نستلـــــذه
تواشوْا بنا حتى أملَّ مكاني
تكنَّفني الواشون من كل جانب
ولو كان واشٍ واحدٍ لكفانـــي
ولو كان واشٍ باليمامـــة داره
وداري بأعلى (حضر موت) أتاني

ويذكر في الواشي أنواعًا، فمنهم من يريد قطع المودة بين المحبين، ومنهم من يريد قطع المودة ليستأثر به دونه، ومنهم من يريد إفشاء سرهما، لكن المحبين إذا كانا على ثقة قد وقعا تحت سلطان الحب، فلا يؤثر فيهما وشي واشٍ، ولا مراقبة رقيب[80].

وبدا ابن حزم بهذا الشرح والتفسير ليس صاحب رؤية فحسب، بل إنه مجرب معاين ذو علم وخبرة بطبقات المجتمع وأبعاده. يحذر بطريقة خفية من هذه الألوان، ويركز الصورة على أقبح شيء من هذه الشخصيات، ويفتح بابًا من أبواب العلاج لهذه الآفات، وهذه رؤية طبيب نفسي، وخبير اجتماعي يحذر ويصور ويشخص، ثم يصف العلاج والدواء الناجع. ليس في الحب فحسب إنما في عيوب المجتمع وخباياه !

وتتجلى تلك الشخصية برؤية خاضعة للتجربة والمعاينة من خلال ما لاحظه في واقع حياته، فأثمرت في التصوير، حتى إن المتلقي لهذه الرسالة لا يحس أنه يقرأ، بل يجرب ويعاين.

رؤيته لصورة المرأة

تعد المرأة عنصرًا أساسيًا في الحب والألفة، لذلك لحظها ابن حزم في رسالته، وكوَّن حولها صورة واضحة جلية من حركات، وأخلاق وتصرفات خاصة بها، ولا يمكن إغفال عنصر المرأة في الحب، فكل واحد من الناس متعلق منه بطرف، وضارب منه بسهم، لما جعل الله في قلوب الناس من محبة الغزل وإلْف النساء[81].

قضى ابن حزم فترة الطفولة، والصبى، والنشأة،

لا يعتني بأمره إلا النساء، ويقوم على تربيته وتعليمه وخدمته نساء وجوار، ولم يعرف مجتمع الرجال إلا في مرحلة شبابه، وقد ذكر ذلك في رسالته طوق الحمامة.[82] فانطبعت في رؤيته صورة المرأة وأحوالها وتصرفاتها، ولا تكاد تلك الصورة تفارق مخيلته.

وبقي أثر تلك التربية والخلوة معهن طيلة حياة ابن حزم، فانعكس على معرفته بأخلاقهن وأساليبهن، وطرق تحايلهن في الأمور. لذلك كانت نظرته لهن فاحصة، لا يكاد يسلِّم بأمر من تصرفاتهن إلا لسبب، فلقد شاهد من أحوالهن في خلواتهن واطلع على أسرارهن مما لا يكاد[83] يتيسر لغيره، أو يتاح لأحد سواه، بل إنه لم يعرف عالم الرجال ومجتمعهم، إلا بعد أن شب وكبر، وفي مجلس والده –الوزير– تعرف إلى كثير من الرجال.[84].

لكنه على الرغم من ذلك، أظهر لهن صفات خاصة تتناسب مع طبائعهن، فيراهن لا همَّ عندهن إلا التصنع للرجال، والنهم فيهم، وتفكيرهن بما فيه دواعي الجماع والوصال والعشق، وصرفهن أوقاتهن في[85] التعمق بذلك، ومع ذلك ذكر لهن صفات أخرى وميز بينها وبين صفات الرجال. وبالنظر إلى الواقع الاجتماعي والبيئي تبين أن القصور ملئت بالجواري والإماء في عصر المصنف، وهي حالة مشابهة لما كان عليه مشرق العباسيين في قصورهم وغلبة النساء على صانعي القرار ورجال الدولة آنذاك.[86]

وقد ذكر الدكتور الطاهر مكي[87] أن ابن حزم على الرغم من إدعائه معرفة أمورهن مما لم يتيسر لغيره إلا أنه أثقل الرسالة من حب الأنثى للأنثى.

ومن يتأمل الرسالة يرى أنه ذكر حب الأنثى للأنثى، والرجل للرجل، واختلاف الجنس[88] ببعض شواهد وأخبار.

ففي الوقت الذي لا يحسن الظن بتصرفاتهن، فإنه بالمقابل يراهن أكثر كتمًا للسر من الرجال، وحفظًا على مكنون النفس، لا يبحن به حتى لو كلفهن جهدًا عظيمًا، أو أرواحهن أحيانًا لشدة تواطئهن على حفظ أسرار بعضهن، بل إن المرأة المفشية للسر عندهن منبوذة مذمومة ممقوتة[89]. ويرى ذلك في العجائز أشد منه في الشواب، لطول تجربتهن وحذقهن في هذا الشأن.

أما الصلاح والتقوى فإنه يراها في النساء والرجال سواء[90] على الرغم من أنه يرى أن المرأة أسبق إلى الفساد إن هيء لها أسبابه. ويستند إلى فهمه من الآية:(ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) النور (31). لأن الله أعلم بما في نفوسهن وما تكن صدورهن.

فنظرته للنساء نظرة من لم يستطع أن يتحرر أو ينفلت من معرفته لهن أيام الصبى والطفولة في نشأته الأولى. ولما كان ابن حزم يتمتع بشخصية واسعة الإطّلاع، سريعة البديهة[91]، فإن ذلك أثَّر في مجريات رسالته، وطريقة تبويبه، بما لحظ من أمور، وبما تناول من قضايا فيما يخص النساء على وجه التحديد لأن سريع البديهة يلحظ الأمور بقدرة فائقة عن غيره.

فتناول المرأة من جانب الحب والعشق ولم يشر إلى أثرها في الحراك السياسي الاجتماعي، فكانت نظرته إلى المرأة من زاوية الحب تحديدًا، كركن

أساسي في العشق والغرام. وكأنه قصر كتابه على أحاديث الحب وآثاره وما يتعلق به دون مجاوزته! وإذا كان الجاحظ نظر إلى المرأة –القينة– على وجه التحديد ضحية نظام اجتماعي قاس مترف وطبقي،[92] فإن ابن حزم لم يفرق بين جارية وغيرها، ولم تنطبع في ذهنه هذه النظرة المأساوية المحزنة ! ويعود ذلك لاختلاف البيئة والمعطيات الثقافية والأيدلوجية لدى الشخصين !

ولا نصل معه إلى جاريته نعم، وهي الجارية التي عشقها عشقًا عنيفًا، وهام بها هيامًا عظيمًا، ففرق الموت بينهما، إلا ونجده يرسم لها صورة غاية في الحسن والجمال الخلقي والخُلقي، ويصف نفسه أنه كان أبا عذرتها، وبقي حينًا من الدهر باكيًا شاكيًا حزينًا لفراقها، ولم يستطب بعدها سواها، ولم يَهِمْ بامرأة كما هام بها وبالغ في ذكرها[93].

فرؤيته للمرأة في مجملها لا تخلو من التوقف والتأمل في تصرفاتها وحركاتها المتزينة للرجال، وذلك في سواد النساء ومعظمهن إلا ما كان يصطفى منهن، أو خاض معها تجربة أثبتت له غير ذلك. فإنه يميل إليها ويفضلها على كثير ممن سواها، ويصفها وصف المطلع على الأسرار وخبايا النفس.

ولا يُظن أنه ركز الصورة على المرأة إلا من خلال تعمقه في الاطلاع على أسرارهن في حياته الأولى، وصباه. لكن على الرغم من ذلك، كيف استصفى منهن شخصيات ذكرها؟ ألأنه نشأ بين أيديهن؟ أم إنه من خلال تجاربه تكشف له من طبائعهن شيئًا آثر أن يكون ذلك لونًا من ألوان البعد الاجتماعي في تلك الحقبة الزمنية ؟ أم إنه كان مكابرًا لا يعترف بالحقيقة؟ وذلك شيء بعيد! لأنه آثر الصراحة على الكناية، والوضوح على الخفاء، وذلك باد في ثنايا رسالته! لكنه يغلب على ظني أن ابن حزم بصراحته وقوة لسانه وعقله، أراد تصوير الأمر على واقعه، ومما لمسه وجربه من أخبار أوردها[94]، فسطر كل ما وقعت عليه عينه دون محاباة، أو مواربة، فلا يكاد يفصل في حديثه بين الذكر والأنثى، أو الرجل والمرأة، على أن ابن حزم من الشخصيات النادرة التي امتلكت شخصية ونفسية ورؤية عالية شفافة في الحب والجمال وتقديرهما. فوضع أساسًا للتجربة العاطفية الفريدة في جوهرها[95] وحكايتها، فكل تجربة مختلفة عن مثيلاتها.

نظرة ابن حزم للحب ولذته ومتعته

يكاد ابن حزم أن يجزم بأن للحب والوصل لذة ومتعة لا تصل إليها حالة من سرور مطلقًا، فوصفه بأنه جنة الأرض ومتعتها الباقية على اختلاف الدهور والأيام، فيقول[96]: (ولولا أن الدنيا دار ممر ومحنة وكدر، والجنة دار جزاء وأمان من المكاره، لقلنا إن وصل المحبوب هو الصفاء الذي لا كدر فيه).

وتعكس هذه الرؤية نفسية رجل لم يجد طعمًا أرقى، ولا أبدع ولا أمتع من الحب ووصله، حتى إنه ليراه جنة الأرض متكاملة المتعة والنعيم، ولولا ذلك لما وصفها بأنها النعيم الذي لا كدر فيه، وقارن بينها وبين جنة الآخرة، فلولا عظم ما وعِدَ به المتقون، لكان الحب أجلى صورة، وأكثر لذة، ولكان الحب أعظم هذه المتع التي لا ينقطع ظلها، ويتفيؤ ظلالها المحبون على السواء. وهذه غاية ما يمكن أن يوصف به شيء.

ولا يُظن أنه بالغ في الوصف إلا من خلال رؤية

خاصة ونفسية ذواقة؛ عمَّمها على الناس، فكانت التجربة ذاتية والحكم تعميمًا، لذلك استقل متع الدنيا الأخرى بجانب وصل المحبوب، وهوِّن من أمرها إذا ما قيست بمتعة الوصل والحب، فلا حظوة السلطان، ولا المال، ولا الجاه، ولا الوجود بعد العدم، ولا الأوبة بعد طول غيبة، مما يعدل نظرة المحبوب ولا رؤية وصله، فيقول[97]: (فما للدنو من السلطان، ولا للمال المستفاد، ولا الوجود بعد العدم ولا الأوبة بعد طول الغيبة، ولا الأمن بعد الخوف... من الموقع في النفس ما للوصل لاسيما بعد طول الامتناع).وهذه حاجات اجتماعية نفسية ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بحياته، فالدنو من السلطان، والمال المستفاد والوجود بعد العدم، والأوبة بعد الغياب، والأمن بعد الخوف، كلها حاجات كان لها أثر في حياته، ذاقها وجربها، فلقد أقصي عن السلطان بعد دنو، وافتقر بعد غنى، ونجى بنفسه بعد الحبس والسجن، وأمن بعد خوفه، فمثل بها من خلال تجربة ذاتية عاشها وعاينها في مجتمعه.

ويرى الوعد من المحبوب، أو الزيارة من أعظم لذات الدنيا، ومن أجمل مذاقها، لكنه يقسم المواعيد إلى أقسام:منها ما يكون وعدًا بالزيارة، ومنها ما يكون انتظار وعد من مواعيد المحبوب، لأنها تلامس شغاف القلب، وتداعب الروح، ومنها ما يكون وعدًا بالوصل، ويورد من نظمه شعرًا كأنه يرى النثر لا يفي بالمراد من المعاني لما للشعر من إيقاع يشبع الأذن والنفس معًا [98]:

أسامر البدر لما أبطأت وأرى
في نوره من سنا إشراقها عرضا
فبت مشترطًا والدر مختلطًا
والوصل منبسطًا والهجر منقبضا

ويلمس من ذلك أن الوعد بالزيارة أو تعيين موعدها أمل في نفوس المحبين يجدون لذلك لذة ومتعة كما ذكر ابن حزم، ولعلها قناعة بالدون من المحبوب[99]، فعلى الرغم من إخلاف الموعد المتكرر،إلا أن المحب يجد في ذلك متعة ولو بالتمني وذلك راجع لاختلاف الأمزجة.

على أنه في كل ذلك يرفض القول: إن الوصال ينقض الحب ويفسده، بل يراه يزيد في تأجيج نار الهوى والعشق والمتعة، ولذلك يخبر عن نفسه حين لا يجد خبرًا يفي بالغرض، فيمثل بنفسه خير تمثيل، ويحدّث عن نفسه حديث المجرب المشتاق، الذي ملكه الحب وأضناه الموعد، يقول: إنه ما روي من ماء الوصل قط، ولا استزاد منه إلا زاد ظمأً وولعًا وهيامًا، وهذه رؤية نفسية يحدّث بها عن نفسه لأنه جربها وعاينها، وعاش لظاها لحظة بلحظة[100] بل ذاق منها رحيقًا سلسلًا، وهل يظن برجل يورد مثل هذه الأحاديث إلا ويكون ممن جرب وعاين ؟!

ويؤكد أنه لا يرى ريًا للحب وارتواءً منه إلا مداومة الوصل دون انقطاع، فيصور ذلك شعرًا، حتى إنه ليود أن يضع المحبوب في جدار قلبه، وبين ضلوع صدره، حتى لا يغيب عنه، ليس في الدنيا، بل حتى بعد الموت، فيقول[101]:

وددت بأن القلب شق بمدية
وأدخلت فيه ثم أطبق في صدري
فأصبحت فيه لا تحلين غيره
إلى مقتضى يوم القيامة والحشر
تعيشين فيه ما حييت فإن أمت
سكنت شغاف القلب في ظلمة القبر

وهذه رؤية تنم عن قلب كلف بالمحبوب، حتى إنه لا يرتوي إلا بعد أن يضعها في قلبه إلى أبد الدهر، وليس في الدنيا فحسب، بل إنه ليريدها أن تدفن معه في ظلمات القبر بين شغاف القلب وسويدائه لما للقبر من وحدة ووحشة فلا يأنس إلا بها، وهذه غاية الرقة والحب والعشق.

وإذا كان الحبيبان التقيا على صفاء بدون كدر، فإن ذلك غاية ما يطلب الحبيبان في الدنيا، إذا أمنا الرقباء والوشاة، وهو ما يسميه آفات الحب، لكنه بعيد المنال وليس إلى بلوغه من سبيل[102].

ولا يظن به أنه يتحدث عن العشق الحرام واللذة المحرمة، بل إنه يتحدث عما أحل الله من الطيبات[103]، من زوج أو جارية.وتلك رؤية نفسية نابعة من صميم معتقده ونشأته التي نشأ عليها في رحاب أحكام الشرع والدين. لا سيما وهو إمام من أئمة الفقه والشرع.

ويتضح اهتمام ابن حزم بالحب كواقع وليس كأخبار مروية، متأثرة بالاتجاه الفقهي![104]

لكن الأمر يبدو أنه تعدى إلى متابعة فئات المجتمع وتكوينه، وهو مما يفترض بالفقيه الاطلاع عليه، وتحليل مجرياته كفقيه يتابع تطور عصره، لينزل حكمه عليه ويوضح رأي الشرع !

رؤيته لخلق الوفاء والغدر

يلحظ أنه تحدث عن الوفاء كخلق لم ير أرفع منه ولا أجل، ويرى أن الوفي من كان يحفظ الود للمحبوب، أو الحبيب حتى وإن تغيرت الظروف، وتنكر أحدهما لصاحبه، فإنما عليه أن يبقى الوفي الصابر المتجلد ولا يقابل الصدود بمثله أو الغدر بشكله، أو بما قابله به صاحبه[105]، لأن ذلك من أعظم الأخلاق التي جبلت عليها النفوس في نظره. فيرفض تبادلية العلاقة في الحب والبغض والغدر، ويلتقي مع الوشاء(325ه) في نظرته تلك،[106] لكنه عمقها اجتماعيًا، بناء على أصداء نفسية اجتماعية عاينها تجربة ذاتية، فأورد خبرًا له مع صاحبه الذي تنكر له بعد أن تغيرت قرطبة.[107]

وبناءً على رؤيته تلك، فإنه يفخر بنفسه ووفائها لكل من قابله، أو تعامل معه، ويحن إلى كل شيء من عهده القديم، ويرى أن كل من لقيه فله عليه حق ولو لمرة واحدة لم تتكرر، ولو بمحادثة ساعة من زمان[108]، وتلك ميزة شخصية جبل عليها وطبع كما يقول.ولعلها كانت نتاج ما جرب من تنكر الأصحاب والخلان له أيام محنته فعكست لديه رؤية خالصة! لخلقي الوفاء والغدر. فخلص من الحديث عن هذين الخلقين إلى ربطهما بالواقع الاجتماعي الذي عاش أيامه، وتوافق لديه البعد الاجتماعي مع البعد النفسي التجريبي بما دعمها من شواهد حية قائمة على المحسوس والملحوظ. ومع تغير الزمان والأخلاق في مجتمعه نتيجة الفتنة فإن الغدر وعدم الوفاء أصبحا سيمة المجتمع، لذلك ألح على هذه الفكرة.

وصفة الوفاء قلما توجد في الناس لأن أكثر طبعهم التغير والتنكر، لما جبل عليه الناس من انصراف حالهم إلى مصالحهم ونفورهم ممن أدبرت عنه الدنيا وولت أيام عزه. ولما كان ابن حزم وزيرًا وابن وزير، وكان مما يفترض أن يكون في أخلاق الوزير شيئًا ظاهرًا من الوفاء والثبات. فلقد أوذي كثيرًا بسبب ذلك، وحمل عليه لأنه كان لا يلين

ولا يداهن، وكان نافذ البصيرة قوي الحجة والمنطق، صاحب جدل، وكان له أثر في كثير من الأمور التي يتناولها[109]. ومن جهة أخرى فإنه لما تقلد الوزارة جرب من أخلاق الناس وعرف أخلاقهم وطباعهم، ثم إنه جمع تجربته إلى تجربة والده في الوزارة فكانت الشواهد عنده غزيرة.

وفي مقابل ذلك فإنه يرى الغدر خلقًا ذميمًا قبيحًا، فإذا كان بين المحبين، أو من طرف الرسول أو المرسل، أو ما يشبهه، فإنه أقبح وأشنع .فالغدر في الأخلاق الذميمة يكافئ الوفاء في الأخلاق الحميدة الحسنة، فإذا كان الوفاء ممدوحًا مدحًا عظيمًا، فإن الغدر مذموم ذمًا قبيحًا[110].

لذلك صور الوفاء والتخلق به وحفظ العهد بصور واضحة جميلة، وذكرها ذكر المعجب بها المستحسن لها،[111] بل المتمثل لما فيها من وفاء عظيم، ثم ذكر نفسه مادحًا لها بهذا الخلق الذي طبع عليه.ونظر إلى الغدر أنه باب من أبواب الكذب والخداع، ومن ثم فهو يكره الكذب كرهًا شديدًا، ويراه نوعًا من الكفر والضلال، فالغدر والخداع والكذب كلها تدخل في باب واحد هو عدم حفظ العهد والود، لذلك أورده متقززًا منه نافرًا عنه، ويستشهد بعد ذلك بقصص وأخبار[112]. وأحاديث من قول الرسول صلى الله عليه وسلم.

ويلحظ أنه ختم الرسالة بباب فضل التعفف، وذلك يدل على أنه كان ينظر إلى الحب والألفة على أنها من باب المعصية إلا إذا كانت بين الزوجين فيما أحل الله من الطيبات، وما أباح الله للعبد من الزواج والمتعة بين المحبين عند التقائهما ضمن روابط الزوجية وميثاقها، لذلك ركز رفضه للقول أن الوصال يفسد الحب، ويرى دوام الوصل مما يذكي ناره ويؤجج الشوق والغرام. وليس هناك وصال متواصل وشوق متلاحق كما عند الزوجين فيرى أن الحب يكون مع الزواج[113]، ويرفض ما سوى ذلك بما ساق من أخبار وقصص. وبهذا يتجلى أثر التربية والنشأة في حياته، فإذا أضيف إليها البعد الاجتماعي الذي يرفض أي وصل أو اتصال بين الجنسين إلا من خلال روابط شرعية في تلك الحقبة الزمنية، تبين بوضوح مقصده من وراء هذا المصنف، فعلى الرغم من حديثه عن الحب واللقاء إلا أنه لم يستطع التخلص أو الانسلاخ مما نشأ عليه أو الانفلات من قوانين المجتمع والبيئة التي نشأ وترعرع فيها، فهو يعد من علماء القرن الخامس الهجري !

لذلك ختم أبواب الرسالة ببابين مهمين أحدهما، باب قبح المعصية ثم باب فضل التعفف[114]. وذلك يدل على أنه من المتعففين المتقين، وذكر قصصًا وأخبارًا وأقوالًا للرسول صلى الله عليه وسلم، تنبئ عن عقيدة صلبة ودين متين وتقوى. وتلك رؤية ربما لا تتوافر لكثير من الناس أتيح لهم ما أتيح لابن حزم .

بل إن المتصفح للرسالة ابتداءً لا يظن ولا يدور بخلده وفكره أن يكون كاتبًا كابن حزم عنده مثل هذه العفة، فكيف وقد أظهر تعففًا وورعًا وتُقى، ونصح الدارسين لها والقارئين بالتزام الطاعة والنظر إلى قبح المعصية وعظمها .

وفي خاتمة رسالته عكس رؤية نفذ من خلالها إلى تصور ما يدور بخلد من يقرأ رسالته، وربما ظن الظنون فأساء، فرجا أن يحمل الناس رؤيته على خير

الأمور وأحسنها، فحتى لا يسيء المتلقون الظن به، وتشوه صورته ختمها بما يوحي ويدل على عفة ودين متين وصيانة نفس، ويبدو أنها رؤية نفذ من خلالها إلى اعتصامه بمبادئه التي نشأ عليها وكيف عصم من الذنب والمعصية، فقال[115]:

جعلت اليأس لي حصنًا ودرعًا
فلم ألبس ثياب المستضام
وأكثر من جميع الناس عندي
يسير صانني دون الأنام
إذا ما صح لي ديني وعرضي
فلست لما تولي ذا اهتمام
تولى الأمس والغد لست أدري
أأدركه ففيما ذا اغتمام

وكأنه يلحظ عقل المتلقي وفكره ويتابعه أين يريد أن يصل في ظنونه وما يدور بخلده، فقطع عليه ظنونه، فركز على العفة وقبح المعصية ليمايز بينهما المتلقي!

الخاتمـــــة

مما يلحظ ختامًا في رؤية ابن حزم أنه لا يتحرز من ذكر بعض أخباره، وإن كانت أحيانًا مما يرغب المرء بإخفائها لأثرها في حياته الشخصية، إلا أنه صاحب اللسان القوي الذي لا يرى بأسًا من ذكرها، والحديث عنها حتى لو كانت عنه نفسه .

رؤيته تنم عن شخص مجرب عاين الكثير وجرب أمورًا لم تتهيأ لغيره. فكان منبسط الحديث غير منقبض، يورد الأخبار عن نفسه، كما يوردها عن غيره، دون كناية أحيانًا إلا إذا أحس أن من ورائها أذى وضررًا يلحقه أو يلحق صاحبها.

رؤيته تمثل رؤية طبيب نفسي، وعالم اجتماعي، وخبير بخبايا المجتمع وعيوبه وألوانه، يصف الواقع كما هو، ويتحدث بحذق عما يريد الإفصاح عنه دون كناية! إنه يتحدث حديث العالم الخبير. فيصف العلة وظواهرها وأعراضها، ثم يصف العلاج والشفاء، ثم يحذر من تبعاتها، وهو أسلوب علمي فكري يصدر عن أصحاب الخبرة والبعد الاجتماعي النفسي.

ولعل تربيته ونشأته وما جبل عليه صقلت شخصيته ومواهبه، فلقد ذكر التلمساني أنه شاعر مجيد،، وصاحب وزارة[116]. وصاحب نثر ورسائل[117] وله ألوان من النثر، فانطبعت شخصيته ما بين النثر والشعر والوزارة والعلم .

وابن حزم مثالٌ يحتذى به في جرأة الحديث، والوضوح الذي لا يشوبه شائبة، فوصف الحب من خلال استقراء وتجارب، واستخلص منها قصصًا وأخبارًا نابعة من رؤية نفسية، أفادها من الأبعاد الاجتماعية في بيئته، فلم تكن أخبارًا نقلها فحسب، بل أظهر لها أبعادًا ورؤى واضحة لإنه آثر وصف حياته التى عاشها في بلاده دون مجاوزتها إلى غيرها إلا قليلا[118]. تلك البيئة التي طبعت على الانفتاح والخروج عن بعض الأعراف الاجتماعية،، فوضع كتابًا في رؤيته لبلاغة الحب وليس للحب نفسه، لأنه آثر أن يكون الحب وصفًا للجمال والتأثر به والانجذاب نحوه. فلم تكن قصصه وأخباره نمطية، كما العهد في قصص الأدب، إنما كانت نماذج حية استوحاها من مجتمعه وبيئته، ليست ضربًا من الخيال، أو أوهام القصاص، أو حكايات الأدب للمتعة والسمر ! فقصصه مختلفة متلونة، ذكرها بأسماء أصحابها، وغير مكررة .

على أن كتابًا يؤلف في هذا المبحث لم يكن عبثًا ولهوًا، بل وصفًا لمعاناة حياة أثقلت وازدحمت فيها تيارات، فكرية مذهبية وسياسية اجتماعية، تقاذفتها الأمواج، فكان الحب وأحاديثه دوحة يستظل بها المنهكون من الأحداث، فكانت الرسالة طفرة في وقتها، ولا يظن أنه كان متخيلًا بل واقعيًا إلى أبعد حد. يكفي أنه مثل بنفسه خير تمثيل، وبوالده ومن عرفه من أهله، ومن عاصره، فتجلى في مبحثه النقد الاجتماعي السياسي، يرقب ويلاحظ ويصور ثم يدون ويقول.

وبتلك الرؤى فتح آفاقًا من علم النفس الاجتماعي، ومنهجًا جميلا[119] في تجليات الوجدان وملاحظة آفاق الشعور الإنساني.

فكانت شهرة الرسالة هذه ثمرة من ثمرات تلك الجرأة، وحصادًا لما غرسه من أخبار وقصص من واقع حياته جللها بما أوتى من قوة بيان، وحسن نظم، ودقة ملاحظة. فظهر بذلك منهجه الاستقرائي بما أورد من شواهد، وتصريح بأسماء من لا يرى ضررًا بذكرهم.

الهوامش

1 – هو: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، أبو محمد القرطبي الظاهري، ولد بقرطبة سنة384هـ، كان أبوه وزيرًا لبعض خلفاء بني أمية بالأندلس، فنشأ في نعمة ورياسة، اشتغل بالأدب في صباه وبالمنطق والعربية، وقال الشعر وترسل، ثم أقبل على العلم فقرأ موطأ الامام مالك – رحمه الله – ثم تحول شافعي المذهب وقتًا من الزمان، ثم ظاهريًا، وتعصب لمذهب أهل الظاهر. وصنف فيه كتابه المشهور – المحلى بالآثار – وناظر وكتب في العقائد: الملل والنحل، وبلغت آثاره نحوًا من ثمانين ألف ورقة، وكان أحد أئمة الفقه، ويعد إمام أهل الظاهر.ودخل في مناظرات كثيرة مع علماء عصره، مما أوجد له خصومًا، فأحرقت كتبه. كان قوي الحجة حتى قيل: لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان. وقال الشعر بسرعة وبداهة. وكان ينهض بعلوم كثيرة. وأشهر مصنفاته وأعجبها – طوق الحمامة – التي ذاع صيتها في الحب والعشق. وقد ذكر الذهبي أنه كان فارسي الأصل. توفي سنة 456ه. اُنظر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر، لسان الميزان، بيروت، دار الفكر، ط1، 1407هـ- 1987م ،4/229-233، والذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط،بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1413،9هـ – 1993م، 18/184.

2 – اُنظر، تيمور أحمد، الحب والجمال عند العرب، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ص5 – 11

3 – اُنظر، عبد الله، محمد حسن، الحب في التراث العربي، عالم المعرفة، 1401هـ – 1980م، ص49.

4 – اُنظر، عباس،إحسان ،رسائل ابن حزم ،المؤسسة العربية إلى الدراسات، ط(2) ،1987م، ص78.

5 – التلمساني ،أحمد بن محمد المقري،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار الكتب للملايين ،ط(1) ، 1995م، ص 138-136/5.

6 – نفح الطيب، ص136/5.

7 – حسين، طه، مجلة الكاتب المصري ،عدد(5) مجلد(2) فبراير 1946م، ص15 .

8 – ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، طوق الحمامة، تحقيق، حسن كامل الصيرفي،القاهرة،مطبعة الاستقامة، ص2-1.

9 – الحب في التراث العربي، ص72.

10 – مقدمة إحسان عباس من رسائل ابن حزم، ص 40 – 41.

11 – دائرة المعارف الإسلامية، الشارقة، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط(1) ،1418هـ – 1998م، 1/160.

12 – اُنظر رسائل ابن حزم، ص36.

13 – الحمداني، أو فراس، ديوانه، شرح: عباس عبد الستار، بيروت، دار الكتب العلمية، ط(1)، 1404هـ- 1983م ،ص 126.

14 - ذكر خبرًا في إيصال الحمامة الرسائل في رسالته طوق الحمامة، ص35، وقال شعرًا في ذلك.

15 - طوق الحمامة، ص25.

16 - قطوس، بسام، سيمياء العنوان، إربد، مكتبة كتانة، ط(1)،2001م، ص147.

17 - الحب والجمال عند العرب، ص13.

18 - طوق الحمامة، ص5.

19 - طوق الحمامة، ص6.

20 - جدعان، فهمي، نظرية التراث، عمان، وزارة الثقافة، 2010م، ص172.

21 - طوق الحمامة، ص7 - 8.

22 - نظرية التراث، ص172 - 173، ص157 - 158.

23 - طوق الحمامة، ص2.

24 - طوق الحمامة، ص3.

25 - دائرة المعارف الإسلامية ،1/161.

26 - اُنظر البغدادي :عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط1، 1/130 .

27 - طوق الحمامة، ص17.

28 - طوق الحمامة، ص17.

29 - النجار، إبراهيم، شعراء عباسيون منسيون، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط(1)، 1997م ،3/11.

30 - طوق الحمامة، ص10.

31 - الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل، ط(1)، 1411هـ- 1991م،2/166.

32 - الأنطاكيّ، داود، تزيين الأسواق في أخبار العشاق ،بيروت، دار ومكتبة الهلال للطباعة،ط(2)، 1986م، 1/30.

33 - ابن القيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، تحقيق: عصام الحرستاني، بيروت، دار الجيل، ط(1)، 1413هـ، 1993م، ص231.

34 - ديوان قيس لبنى (قيس بن ذريح)، جمع وتحقيق، عفيف نايف حاطوم، بيروت، دار صادر، ط(1)، 1998م، ص41. واُنظر ما كتبه د. يوسف خليف، عن ابن ذريح، الحب المثالي، مصر، إقرأ، دار المعرفة المصرية، ص32 - 40.

35 - طوق الحمامة، ص11.

36 - طوق الحمامة، ص23.

37 – طوق الحمامة، ص24.

38 – طوق الحمامة، ص25.

39 – رسائل الجاحظ، 2/168.

40 – رسائل الجاحظ، 2/169.

41 – اُنظر، تزيين الأسواق في أخبار العشاق، 2/34.

42 – طوق الحمامة، ص25–24.

43 – طوق الحمامة، ص5.

44 – الطوق الحمامة، ص7.

45 – اُنظر، العماري، فضل بن عمار، الحب عند العرب، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ط(1)، 1430هـ–2009م، 2/780.

46 – اُنظر في الموافقة والتوافق بين الحبيبين في الشبه والهوى والطباع، رسائل الجاحظ 2/169. وروضة المحبين، ص307.

47 – طوق الحمامة، ص11.

48 – مبارك، زكي، النثر الفني في القرن الرابع، بيروت، دار الجيل، 2/203.

49 – طوق الحمامة، ص11 – 13. واُنظر الأنطاكيّ 2/34، وروضة المحبين، ص384 وما بعدها.

50 – طوق الحمامة، ص15 .

51 – طوق الحمامة، ص19.

52 – الأنطاكيّ، 1/35.

53 – نصر، د. عاطف جودة، الخيال مفهومه ووظائفه، مصر، الشركة المصرية العالمية للنشر– لونجمان، ط(1)، 1998م، ص166.

54 – طوق الحمامة، ص25.

55 – اُنظر، عباس، احسان، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، بيروت، دار الثقافة، ط(1)1985م، ص158.واُنظر، طوق الحمامة، ص46، في مناظرته مع ابن كليب. واُنظر، السيوفي، مصطفى، تاريخ الأدب الأندلسي، القاهرة، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، ط(1)، 2008م، ص145، في مَنْطَقَةِ ابن حزم لبعض العواطف الإنسانية. واُنظر أنخل جنثالث بالثيا، تعريف د. حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية،1955م، ص14.

56 – طوق الحمامة، ص26.

57 – طوق الحمامة، ص27.

58 – طوق الحمامة، ص27 – 28.

59 - طوق الحمامة، ص28.

60 - الحب في التراث العربي،ص131، وانظر،ص73، في سيطرة الأنا على نفسيته.

61 - طوق الحمامة، ص31.

62 - طوق الحمامة، ص32.

63 - رسائل الجاحظ، 2/175.

64 - انظر، وهبة، مجدي، معجم مصطلحات الأدب، بيروت ،مكتبة لبنان، 1974م، ص507.

65 - طوق الحمامة، ص34.

66 - طوق الحمامة، ص34.

67 - انظررسائل الجاحظ، 2/172، وتزيين الأسواق، 2/413.

68 - طوق الحمامة، ص33.

69 - النثر الفني في القرن الرابع، 2/205.

70 - طوق الحمامة، ص34.

71 - طوق الحمامة، ص35.

72 - طوق الحمامة، ص36.

73 - شعر عروة بن حزام، تحقيق، د. إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، جامعة بغداد، مجلة الآداب، عدد (4)، 1961م، ص 13 وانظر ص11.

74 - طوق الحمامة، ص47.

75 - طوق الحمامة، ص48.

76 - الأنطاكيّ، 2/425.

77 - طوق الحمامة، ص48 - 51.

78 - طوق الحمامة، ص55.

79 - شعر عروة بن حزام، ص17.

80 - طوق الحمامة، ص 53 - 54.

81 - الدينوري ،ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم،الشعر والشعراء، بيروت، دار الكتب العلمية، ط(2) ،1405هـ - 1986م، ص27 - 28.

82 - طوق الحمامة، ص50.

83 - طوق الحمامة، ص50.

84 - انظر، عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، بيروت، دار الثقافة، ط(1) 1985م، ص306.

85 – طوق الحمامة، ص50.

86 – ضيف، شوقي، العصر العباسي الأول، مصر، دار المعارف، ط(2)، ص57 – 58.

87 – مكي، الطاهر، ابن حزم وكتاب طوق الحمامة، ط2 ،1977م، ص338.

88 – طوق الحمامة، ص20 – 21، 115 – 117.

89 – طوق الحمامة، ص49.

90 – طوق الحمامة، ص124 – 126.

91 – الشنتمري، أبو الحسن علي بن بسام،الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ط(1)، 1399هـ– 1979م، 1/172.

92 – الحب في التراث العربي، ص126.

93 – رسائل ابن حزم، ص224. وانظر رسالة طوق الحمامة، ص91.

94 – الحب في التراث العربي، ص62.

95 – الحب في التراث العربي، ص131.

96 – طوق الحمامة، ص59

97 – طوق الحمامة، ص60.

98 – طوق الحمامة، ص60.

99 – الأنطاكيّ، 2/456.

100 – طوق الحمامة، ص62.

101 – طوق الحمامة، ص63.

102 – طوق الحمامة، ص63.

103 – طوق الحمامة، ص63.

104 – الحب في التراث العربي، ص62.

105 – طوق الحمامة، ص79.

106 – الحب في التراث العربي، ص105.

107 – طوق الحمامة، ص79.

108 – طوق الحمامة، ص82

109 – انظر، سير أعلام النبلاء، 18/184، وانظر، نفح الطيب، 2/293 .

110 – طوق الحمامة، ص83.

111 – طوق الحمامة، ص81.

112 – طوق الحمامة، ص55 – 56 .

113 - اُنظر طوق الحمامة، ص142 - 143.

114 - اُنظر طوق الحمامة، ص122، ص142.

115 - طوق الحمامة، ص155 .

116 - نفح الطيب، 6/109.

117 - نفح الطيب، 4/14.

118 - مجلة الكاتب المصري، ص17.

119 - النثر الفني في القرن الرابع، 2/207.

المصادر والمراجع

أولًا: العربية

1 – القرآن الكريم.
2 – الأنطاكيّ، داود، تزيين الأسواق في أخبار العشاق، بيروت، دار ومكتبة الهلال للطباعة، ط(2)، 1986م.
3 – البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط(1).
4 – التلمساني، أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط(1)، 1995م.
5 – تيمور، أحمد، الحب والجمال عند العرب، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
6 – الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هاروون، بيروت، دار الجيل، ط(1)، 1411هـ– 1991م.
7 – جدعان، فهمي، نظرية التراث، عمان، الأردن، وزارة الثقافة، 2010م.
8 – ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، طوق الحمامة في الألفة الآلاف، مصر، مطبعة الاستقامة، المكتبة التجارية، 1383هـ– 1964م.
9 – خليف، يوسف، الحب المثالي، مصر، دار المعارف، سلسلة إقرأ.
10 – الدينوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق، مفيد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط(2) 1405هـ– 1985م.
11 – دائرة المعارف الإسلامية، الشارقة، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط(1) 1418هـ– 1998.
12 – الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق، شعيب الأرناؤوط، بيروت،مؤسسة الرسالة، ط(9)، 1413هـ– 1993م.
13 – السيوفي، مصطفى، تاريخ الأدب الأندلسي،القاهرة، الدار الدولية للإستثمارات الثقافية، ط(1)، 2008م.
14 – الشنتمري،أبو الحسن علي بن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق، إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، 1399هـ– 1979م.
15 – ضيف، شوقي، العصر العباسي الأول،مصر، دار المعارف، ط(2).
16 – عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، بيروت ،دار الثقافة، ط(7)، 1985م.
17 – عباس، إحسان، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين،بيروت، دار الثقافة، ط(7)، 1985م.
18 – عباس، إحسان، رسائل ابن حزم، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية إلى الدراسات والنشر، ط(2)، 1987م.
19 –عبد الله، محمد حسن، الحب في التراث العربي، عالم المعرفة، 1401هـ – 1980.

20 - العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر، لسان الميزان، بيروت، دار الفكر ط(1)، 1407هـ- 1987م.
21 - العماري، فضل بن عمار، الحب عند العرب،بيروت، الدار العربية للموسوعات، ط(1) ،1430هـ- 2009م.
22 - عروة بن حزام، شعر عروة، تحقيق، د. إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، جامعة بغداد، مجلة الآداب، عدد(4)، 1961م.
23 - أبو فراس، الحارث بن سعيد، ديوان أبي فراس، شرح عباس عبد الستار، بيروت، دار الكتب العلمية، ط(1)، 1404هـ - 1983م.
24 - قطوس، بسام، سيمياء العنوان، إربد ،مكتبة كتانة، ط(1)، 2001م.
25 - قيس لبنى،(قيس بن ذريح)، ديوان قيس، تحقيق، عفيف نايف حاطوم، بيروت، دار صادر، ط(1) ،1998م.
26 - ابن القيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، تحقيق، عصام الحرستاني، بيروت، دار الجيل ،ط(1)، 1413هـ- 1993م.
27 - مبارك، زكي، النثر الفني في القرن الرابع، بيروت، دار الجيل.
28 - مجلة الكتاب المصري، عدد (5)، مجلد (2)، فبراير، 1946م.
29 - مكي، الطاهر، ابن حزم وكتابه طوق الحمامة، القاهرة، ط(2)، 1977م.
30 - نصر، عاطف جودة، الخيال مفهومه ووظائفه، مصر، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط(1)، 1998م.
31 - وهبة، مجدي، معجم مصطلحات الأدب، بيروت، مكتبة لبنان، 1974.

ثانيًا: الأجنبية

-جنثاليث، أنخل، تاريخ الفكر الأندلسي، تعريف د.حسين مؤنس، مصر، مكتبة دار النهضة المصرية، 1955م.